

الموالي والهوية الثقافية الأدبية في الأوساط الاجتماعية العباسية ("The Mawali and Literary Cultural Identity in Abbasid Social Circles")

كمال بوسبحة

مولود معمري (الجزائر)، kamel.boucebha@ummt0.dz

مخبر الانتماء: التمثلات الفكرية والثقافية، إبداع، تواصل، نقد.

تاريخ الاستلام: 2024/11/17 تاريخ القبول: 2025/01/11 تاريخ النشر: 2025/01/31

ملخص:

أولئك الذين ليسوا على دراية بتاريخ الفكر الإسلامي يفترضون أن معظم العلماء المسلمين الأوائل كانوا عربا، وقد يفاجأ البعض بسماع أن بعض هؤلاء العلماء الأوائل كانوا من العبيد المحررين، إذ أن العلوم الإسلامية استفادت بشكل كبير من جهود العبيد المحررين والعلماء غير العرب، في هذا المقال القصير نهدف إلى تسليط الضوء على مصطلح "الموالي" بغية الوصول الى عدة نتائج وهي: أهمية النظام القبلي في شبه الجزيرة العربية وكيف ساهمت طبقة الموالي في البناء الثقافي والاجتماعي والأدبي في العصر العباسي وما بعده، ومدى مساهمة الأدباء والمتفقيين من هذه الفئة في الثراء الأدبي والتغيير في النهج الفكري في فترة العصور الذهبية، وما مصير هؤلاء في حالة الخروج عن طوع الحاكم وتحدي السلطة. كلمات مفتاحية: الموالي، العرب، الثقافة، الهوية، الأدب، الإسلام، الدولة العباسية.

Abstract:

Those who are unfamiliar with the history of Islamic thought often assume that most early Muslim scholars were Arabs. Some may be surprised to learn that some of these early scholars were freed slaves. Islamic sciences greatly benefited from the contributions of freed slaves and non-Arab scholars.

This short article aims to shed light on the term "Mawali" with the objective of reaching several conclusions: the significance of the tribal system in the Arabian Peninsula, how this social class contributed to the cultural, social, and literary structures during the Abbasid era and beyond, and the contributions of writers and intellectuals from this group to the enrichment

of literature and the shift in intellectual approaches during the golden ages. It also explores the fate of these individuals when they defied the ruler and challenged authority.

Keywords: Mawali, Arabs, culture, identity, literature, Islam, Abbasid state.

1. مقدمة:

يشير مصطلح "موالي" في البداية إلى العبيد المحررين الذين أصبحوا جزءًا من القبيلة التي أعتقتهم، بمرور الوقت توسع استخدام المصطلح ليشمل غير العرب الذين اعتنقوا الإسلام وأصبحوا مرتبطين بقبائل عربية، كانت هذه العلاقات غالبًا قائمة على الولاء والحماية المتبادلة.

كان النظام القبلي هو الهيكل الاجتماعي السائد في شبه الجزيرة العربية قبل وبعد ظهور الإسلام، اعتمدت القبائل على علاقات النسب والتحالفات القبليّة للحفاظ على البنية الاجتماعيّة والسياسيّة، مع انتشار الإسلام انضمت العديد من القبائل والأفراد من خارج الجزيرة العربيّة إلى المجتمعات الإسلاميّة الجديدة مما أدّى إلى دمجهم في النظام القبلي كموال، فقد كان الموالي يلعبون دورًا حيويًا في تطوير العلوم الإسلاميّة، ولم يكن انتشار الإسلام مصحوبًا بنشر الدّين فحسب، بل كان أيضًا محركًا لنشر المعرفة وتبادل الثقافات هذا ما يطرح إشكالا رئيسا ألا وهو كيفية تجليالأنظم الثقافيّة والسياسيّة والفكريّة في العصور الذهبيّة للدولة الإسلاميّة، لتتفرع عنه مجموعة من الفرضيات أهمها كيف رسمت طبقت الموالي عوالم هوياتها الثقافيّة في كتابتها الأدبيّة من خلال مثقفها من فرس وأعاجم في ظل الحضارة العربيّة الطّاغية.

تهدف الدراسة الى ولوج عوالم ثقافة طبقة الموالي، والأبعاد الثقافيّة والفكريّة لهؤلاء الأدباء والعلماء والمفكرين، والأسباب التي أدّت الى قمعهم سياسيا.

قامت دراستنا على المنهج الثقافي لتسبر أغوار المراحل الذهبيّة الأدبيّة في الخلافة العباسية.

2. الدولة العباسيّة والصراعات السياسيّة:

1.2 الثورة العباسية:

أطاحت الأسرة العباسية بالسلالة الأموية التي كان مقرها في دمشق (سوريا)، كان الأمويون غير محبوبين بشكل متزايد، خاصة في الأراضي الشرقية للخلافة، فقد فضّل الأمويون العرب من أهل دمشق على المسلمين الآخرين، وعاملوا الموالى _ وهم المسلمون الجدد _ الذين اعتنقوا الإسلام، كمواطنين من الدرجة الثانية، كانت المجموعة الأكثر عدداً من الموالى هم الفرس، الذين كانوا يعيشون جنباً إلى جنب مع العرب في الشرق، وكانوا غاضبين من التفضيل الذي أظهره الأمويون للعرب الدمشقيين، فعدوا جاهزين للتمرد على هاته السلطة ذات القسمة الضيزى .

كان المسلمون الآخرون غاضبين من الأمويين لتحويل الخلافة إلى سلالة وراثية، فقد اعتقد البعض أن عائلة واحدة لا ينبغي أن تحتكر السلطة، بينما كان الشيعة يعتقدون أنّ السلطة الحقيقية تنتمي إلى عائلة -النبي محمد صلى الله عليه وسلم- من خلال صهره علي-رضي الله عنه-، وأنّ الأمويين لم يكونوا جزءاً من عائلة محمد صلى الله عليه وسلم.

تجمعت هذه الجماعات المختلفة التي كانت غاضبة من الأمويين تحت قيادة العباسيين، الذين بدأوا تمرداً ضد الأمويين في بلاد فارس، بنى العباسيون تحالفاً من الموالى الفرس والعرب الشرقيين والشيعة. تمكن العباسيون من الحصول على دعم الشيعة لأنهم من نسب النبي محمد صلى الله عليه وسلم عبر عمه العباس رضي الله عنه.

قاد الفارسي "أبو مسلم" دعماً للجيش العباسي المطالبة بالسلطة، سمحت انتصاراته بأن يدخل الزعيم العباسي "أبو العباس السفاح" مدينة الكوفة التي كان مسيطراً عليها من قبل الشيعة عام (748) وإعلان نفسه خليفة، في عام (750) واجه جيش أبي مسلم والسفاح الخليفة الأموي مروان الثاني في معركة الزاب بالقرب من نهر دجلة، هُزم مروان الثاني وهرب وقتل، استولى السفاح على دمشق وذبح أفراد الأسرة الأموية المتبقين (باستثناء واحد وهو "عبد الرحمن" الذي هرب إلى الأندلس).

أصبح العباسيون الحكام الجدد للخلافة «وقد ركزت الثورة العباسية نشاطها وفعاليتها على القرى والمدن الرئيسية التي فيها عرب مستقرون، أو حاميات عربية عسكرية، أما الموالى فقد ضمت الثورة كل من تستطيع ضمه منهم، إلا

أن دورهم لم يكن من الأهمية بحيث يمكن مقارنته بدور العرب، كما أننا نجد الموالي في المعسكرين الأموي والعباسي، ذلك لأنهم حاربوا كمواال تابعين لقبائل عربية ومع أن الثورة العباسية ظهرت بشعارات عديدة، حاولت كسب كل من تستطيع من الفئات والتكتلات¹ كانت الهيمنة الفعلية للعرب، وكان العباسيون يدركون أهمية توسيع قاعدة دعمهم، لذا سعوا لجذب الموالي وجماعات أخرى غير راضية عن الحكم الأموي، هذا التنوع في الدعم كان أحد العوامل التي ساعدت العباسيين في إطاحة بالأمويين وتثبيت حكمهم².

ناقش المستشرقون بشكل موسع ظهور الدعوة العباسية وسقوط الدولة الأموية، وقدموا تفسيرات مختلفة بناءً على منهجيات مختلفة، وقد سلطت هذه التفسيرات الضوء على جوانب عديدة من التحليل التاريخي ومع ذلك، كان أحد الأخطاء الكبيرة التي ارتكبتها المستشرقون هو اعتمادهم على أطرها المرجعية الخاصة عند تفسير التاريخ الإسلامي، وتوصلوا بالتالي إلى استنتاجات غريبة لا علاقة لها بالمسار الفعلي للتاريخ الإسلامي، والأمر الأكثر إثارة للقلق هو حقيقة أن المثقفين العرب المتغربين تبنا هذه التفسيرات ونشروها داخل العالم الإسلامي، وأخفوها كوجهات نظر أصيلة باستخدام الأقلام العربية والهويات، أصبح تحليل الطبقات الاجتماعية وصراعاتها جانباً مشهوراً من التفسيرات المادية للتاريخ الإسلامي، وقد تم تطبيقه بشكل خاص على دراسة نشأة الدعوة العباسية وسقوط الدولة الأموية. وقد ردّ العديد من المستشرقين هذا التفسير وأدرجوه في أبحاثهم، ونتيجة لذلك ظهرت تفسيرات مختلفة، أبرزها ما يلي:

- أولاً. يمكن أن يعزى صعود الحركة العباسية في المقام الأول إلى العوامل الاقتصادية، فالنظام الأموي الذي أظهر محاباة للعرب السوريين أخضع الطبقات الدنيا والفلاحين والموالين الفقراء لمعاملة غير عادلة، ورداً على هذا الاستغلال، نظرت هذه الفئات المهمشة إلى العباسيين باعتبارهم منقذهم الاقتصادي، الفرضية الأساسية لهذا التحليل هي أن الثورة العباسية يمكن أن تعزى إلى الصراع بين العرب المؤسسين والنخبة الأموية، فضلاً عن الموالي والطبقات

¹ فاروق عمر، 1988، ص7.

² ينظر: نفسه، 11_25.

الدنيا، ويفترض أن الثورة كانت بمثابة مظهر من مظاهر مقاومة الطبقات الدنيا ضد الوضع المهيمن للأمويين في المجتمع والسياسة.

● **ثانياً.** يؤكد بعض المستشرقين عند دراسة سقوط الدولة الأموية، على أهمية الانقسامات الدينية والطائفية، ويسلطون الضوء على كيفية استفادة العباسيين من التوترات بين السنة والشيعة، إلى جانب السخط تجاه الأمويين لانحرافهم عن المبادئ الإسلامية الأصلية من خلال إنشاء نظام وراثي (الملكية).

من وجهة نظر سياسية، يمكن اعتبار الثورة العباسية نتيجة مباشرة للصراع على السلطة بين البيت الأموي والبيت العباسي، حيث تمكن الأخير من حشد دعم العديد من الفصائل غير الراضية تحت الحكم الأموي. يرى "هاملتون جب" أن أكبر مشكلة واجهت الأمويين هي التنسيق بين البنية الاجتماعية التي نظمتها الدول العربية بعد الفتح والاقتصاد الزراعي في الأراضي المفتوحة، وأنه كان من الضروري تحقيق هذا الانسجام بطريقة تتفق مع المبادئ الأخلاقية للإسلام، أصبحت المشكلة حادة بشكل خاص عندما تحول العديد من الموالين والفلاحين الذين ظلوا يعانون من الظلم الاجتماعي والاقتصادي في الماضي إلى الإسلام.

وعلى الرغم من جهودهم، فإن التمييز الاجتماعي والاقتصادي الذي عانوا منه لم يعد قادراً على قمع الاستياء المتزايد من الحكم الأموي، عانى الموالى وهم المسلمون الجدد الذين لم يكونوا عرباً من التمييز في معاملتهم وتم معاملتهم كمواطنين من الدرجة الثانية مقارنة بالعرب الأصليين، وخاصة العرب السوريين المفضلين من طرف الأمويين³.

فسر المؤرخ والمستشرق الشهير "جون باجوب غلوب" التعاون بين الفرس والثوار العباسيين، وأشار إلى العدد الكبير من معتقي الإسلام الفرس الذين شاركوا في الثورة مع العباسيين قد عانوا من تمييز شديد من قبل مدعي "النبيل العربي". هؤلاء الفرس الذين اعتنقوا الإسلام استاءوا من معاملتهم كمواطنين من الدرجة الثانية من قبل النبلاء العرب الأمويين، تميزت هذه الطبقة الأرستقراطية بالسيطرة على المناصب المهمة بالإضافة إلى المصالح الاقتصادية والاجتماعية، مما أدى إلى زيادة التوترات بين العرب والموالين من غير العرب، عندما بدأت الثورة العباسية، وجد الفرس والموالون لهم في الدعوة العباسية فرصة للهروب من التمييز الاجتماعي

³ _ ينظر: هاملتون جب، دراسات في حضارة الإسلام، ص 13.

والاقتصاديّ الذي عانوا منه في عهد الأمويين ولذلك انضم كثير منهم إلى الحركة العباسيّة وساهموا بشكل كبير في دعمها وتعزيزها⁴

2.2 العباسيون الأوائل:

قاد العباسيون ثورة ضد السياسات غير الشعبية للأمويين، لكن أولئك الذين توقعوا تغييرات كبيرة شعروا بخيبة أمل تحت حكم الخليفة العباسي الثاني المنصور (حكم من 754 إلى 775)، أصبح واضحاً أنّ الكثير من ممارسات الأمويين لا تزال مستمرة، حافظ العباسيون على السيطرة الوراثيّة على الخلافة، مشكلين سلالة جديدة، كان التحالف مع الشيعة قصير الأمد، إذ أصبح العباسيون أبطالاً للسنة، متمسكين بسلطة أسرته على حساب عائلة علي-رضي الله عنه-، واستمروا في إخضاع الشيعة.

حتى أبو مسلم، القائد الفارسي العبقرى الذي هندس صعود العباسيين، اعتبر تهديداً وأعدم ومع ذلك، أثبت العباسيون ولاءهم لحلفائهم من الموالي الفرس، في الواقع سيطر التراث الفارسي على الثقافة العباسية تأثر البلاط العباسي بشدة بالعادات الفارسية، وكان أعضاء عائلة البرامكة الفارسية القويّة يعملون كمستشارين للخلفاء ويضاهونهم في الثروة والسلطة لكن بشروط تولى الموالي الوزراء الفرس في الحكم، وتأثروا وتأثرت بهذه المواقف، وعملوا كمعاونين لنظامهم وأخذوا منه. كان لديهم أيضاً تأثير بنظرتهم الاستبدادية، حيث كان الوزراء هم السلطة الفعلية والحاكم المطلق، بينما كان الخليفة هو المسيطر الحقيقي، ويشرف على الوزراء أو يشترك معهم، ويعاقبهم عندما يتجاوزون حدود سلطتهم⁵.

من أول وأهم التغييرات التي قام بها العباسيون هو نقل عاصمة الإمبراطورية الإسلامية من قاعدة السلطنة الأموية القديمة في دمشق إلى مدينة جديدة - بغداد. تأسست بغداد في عام 762 على يد المنصور على ضفاف نهر دجلة، كانت المدينة مستديرة الشكل، وصممت منذ البداية لتكون عاصمة عظيمة ومركزاً للعالم الإسلامي، بُنيت بالقرب من العاصمة الفارسية القديمة قطيسفون، وموقعها يكشف عن رغبة السلالة في الارتباط بالثقافة الفارسية.

نمت بغداد بسرعة بتشجيع من الدولة العباسية، وسرعان ما أصبحت أكبر مدينة في العالم. في بغداد، ازدهرت الثقافة الفارسية التي حاول الأمويون قمعها، ازدهرت الفنون والشعر والعلوم، تعلم العباسيون من الصينيين (بزعم من الجنود الصينيين الذين

⁴ ينظر: جونا جوب غلوب، امبراطورية العرب، 1966 ص 406

⁵ ينظر: عبد العزيز الدوري النظم الإسلامية، 2008، ص 92،

أسروا في المعركة) فن صناعة الورق كان الورق رخيصاً ومتيناً، وأصبح مادة مهمة لنشر الأدب والمعرفة.

تحت الحكم العباسي، شهدت الحضارة الإسلامية فترة من الازدهار الثقافي والفكري، حيث أصبحت بغداد مركزاً للتجارة والتعليم والفنون، ازدهرت الفلسفة والعلوم والترجمة في بيت الحكمة، وهو مجمع علمي كبير أسسه الخليفة هارون الرشيد وابنه المأمون، جمع بيت الحكمة العلماء من مختلف الثقافات والأديان لترجمة النصوص القديمة وتطوير المعرفة في مجالات متنوعة مثل الرياضيات والفلك والطب والكيمياء. وبينما ظهر طموح الفرس في استعادة مجدهم، حرص العرب أيضاً على استعادة قوتهم، وقد تم ذلك من خلال اضطهاد قادة الفرس ووزرائهم، مما أصابهم بكوارث متتالية، مثل ما حدث في نكبة البرامكة، وبني سهل. وأثار هذا التصعيد عداوة شديدة بين الفرس والعرب وزاد من حدة الصراع بينهما⁶.

3. البناء الهوياتي في المجتمع العباسي:

1.3. العبودية في العصر العباسي:

لم تكن العبودية في الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي مبنية على لون البشرة أو العرق، الطريقة الأساسية التي يصبح بها الشخص عبداً هي أن يكون أسير حرب أو يتم أسره أثناء الغارة، في العصر الحديث عندما يتم أسر جنود العدو غالباً ما يتم سجنهم، لكن في هذا العصر لا يمكن لأي مؤسسة سجنية أن تحتجز مئات أو آلاف السجناء، في عالم ما قبل الحداثة لم يكن أسرى الحرب يُسجنون، بل يُقتلون أو يُفقدون أو يُؤخذون إلى منازل فردية كعبيد، وبما أن العبودية كانت تعتمد على الأشخاص الذين يتم أسرهم في الحرب وليس على أساس العر فقد كان هناك عبيد من جميع الخلفيات، وكان العرب الآخرون أكبر مجموعة من العبيد في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام.

تحدى الإسلام النظام القبلي من خلال الإصرار على أن جميع البشر متساوون أمام الله وأن على المرء أن يدافع عن العدالة حتى لو كان ذلك ضد أقرب أقربائه على سبيل المثال، يقول القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ

⁶ _ ينظر: شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ص9

تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَّوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا⁷ فسواء كان الشخص غنياً أو فقيراً، فإن الله يستطيع أن يعتني بكليهما على أفضل وجه، ولا يمكن اتباع الهوى بل وجب أن يكون الحكم بالقسط المستقيم، فاذا كان هناك تشويه أو اهمال للعدالة فإن الله كان خبير بأفعال الانسان كلها.

كانت النساء والأيتام والعبيد هم الأكثر ضعفاً في شبه الجزيرة العربية في القرن السابع، وكانت دعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى المساواة والعدالة غير مسبوقة، مع ذلك فإن التحول من النظام القبلي الذي يفضل قبائل معينة على غيرها إلى مجتمع مسلم عالمي لم يحدث بين عشية وضحاها، وبدلاً من ذلك كانت عملية تدريجية جرت على مدى عدة سنوات في شبه الجزيرة العربية في القرن السابع، كانت هناك طريقة لدمج الغرباء في النظام القبلي، وكان هذا أمراً حاسماً للانتقال من النظام القبلي/الجاهلية إلى سيادة القانون في الإسلام، يمكن للأجانب والعرب الذين انتقلوا من مناطق أخرى وغيرهم من الأفراد غير المرتبطين أن يصبحوا تابعين (مولى)، جمع موالٍ) لقبيلة وكان هذا أيضاً هو الوضع الممنوح للعبيد الأحرار، عندما يحرر أحد أفراد قبيلة عربية عبده، يصبح العبد تابعاً للقبيلة، لم يكن العبيد المحررون ينتمون في الأصل إلى القبيلة، لكنهم ما زالوا يحتفظون بالانتماء إليها، في العقود الأولى للإسلام كان مصطلح موالٍ يعني الأشخاص خارج النظام القبلي الذي تم دمجهم فيه/أو العبيد المحررين⁸.

أدى توسع المسلمين خارج شبه الجزيرة العربية إلى زيادة استخدام كلمة "الموالي"، مع بدء المزيد من الناس خارج شبه الجزيرة العربية في قبول الإسلام، استخدم عرب الحجاز نظام الموالاة لدمجهم في المجتمع العربي الإسلامي، وتم إنشاء نظام رعاية اجتماعية لإدارة العديد من المتحولين الجدد المتفرقين، أصبح المتحول غير العربي والدلاً راع عربي.

عندما دخل المسلمون الأراضي المتحضرة في البحر الأبيض المتوسط والعالم الفارسي، كانت العبودية جزءاً مهماً من الاقتصاد هناك وكانت تجارة الرقيق نشطة، ووجد الفاتحون العرب المسلمون أنفسهم يأسرون العديد من الأسرى.. وكان عدد العبيد أكثر بكثير مما رأوه في الجزيرة العربية.

⁷ القرآن الكريم، النساء، 135.

⁸Look :.EmadHamdeh (Mawālī: How Freed Slaves and Non-Arabs Contributed to Islamic), 2023, 3_12

ووفقاً للتعاليم الإسلامية، حرّر المسلمون الأوائل العديد من العبيد وخاصة أولئك الذين اعتنقوا الإسلام، فقد كان جزء كبير من المسلمين عبيداً سابقين ولكنهم أصبحوا هم أو أطفالهم علماء، على سبيل المثال أصبح سليمان بن يسار ذو الأصل الفارسي في نهاية المطاف أحد الفقهاء المشهورين إلى جانب العديد من الفقهاء الآخرين من أصل عربي.⁹

2.3 الموالى والتأثير الثقافي:

بدأ الموالى بلعب أدوار مهمة في الحكومة والتعليم الإسلامي، التقى الخليفة عمر ذات مرة بالمسؤول عن مكة أثناء الحج فقال له عمر: من تركت على أهل الوادي؟ قال الرجل: ابن أبزى فقال عمر: من ابن أبزى؟ قال الرجل: هو من الموالى فقال عمر: فتولي مولى؟ قال الرجل: يقرأ كتاب الله، وهو عالم بالفرائض فقال عمر: إني سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله يرفع بهذا الدين أقواما ويضع به آخرين»¹⁰

تجلى التأثير والتأثر بين العرب والفرس قبل الإسلام وبعده، في منطقتي الحيرة واليمن كانت العلاقات تتمحور حول سيادة الفرس وتأثيرهم على السياسة والثقافة المحلية، ومع بدء العرب في دخول بلاد فارس بعد الإسلام، شهدت العلاقات تحولات كبيرة، حيث سيطر العرب وانتشر الإسلام في هذه المنطقة ومع ذلك، استمرت اللغة الفارسية وبعض العادات والمفاهيم في ممارسة تأثير واضح على العرب.

التأثير الثقافي واللغوي بين العرب والفرس كان متبادلاً، فقد استوعبت اللغة العربية بعض المصطلحات والكلمات الفارسية واستخدمتها في الشعر والحياة اليومية، ولاحظنا أيضاً أن بعض الشعراء العرب اعتمدوا على اللغة الفارسية في شعرهم، وهو الأمر الذي جعلهم يواجهون انتقادات من بعض العلماء.

بعد انتشار الإسلام ودخول العرب إلى بلاد فارس، بدأت الفارسية تستخدم في دواوين الحكومة، ولكن مع مرور الوقت وتأثير العرب وانتشار اللغة العربية، تم تبديل الفارسية بالعربية في الإدارة والكتابة الرسمية.

4. ابن المقفع والتأثير والتأثر:

1.4 ابن المقفع:

أظهر المثقفون غير العرب تردداً عندما يتعلق الأمر باعتناق دين الفاتحين، ومن الجدير بالذكر أن الكاتب الموقر ابن المقفع بذل جهوداً لتقويض النفوذ المتزايد لعلماء

⁹ ينظر: نفسه 3_12.

¹⁰ صحيح مسلم، برقم. 3088

الحديث، الذين كانوا المرجعيات الدينية الجديدة وقد لعب هذا السخط بين المثقفين من أصول غير عربية دوراً هاماً في صعود الأفراد الذين يوصفون بالهرطقة. مصطلح "الزنادقة" المشتق من بهلوي، أشار في البداية إلى المانويين ولكنه شمل لاحقاً الأفراد الذين لديهم معتقدات غنوصية أو معتقدات دينية أخرى تعتبر مشبوهة من قبل غالبية المسلمين.

لم يكن الكاتب الشهير " ابن المقفع" مشهوراً ببراعته الأدبية فحسب، بل اشتهر أيضاً بوصمه بالهرطقة. يمكن التوفيق بسهولة بين هذا التناقض الواضح عندما نأخذ في الاعتبار أن فطنته الفكرية ومعرفته الثقافية كانتا أصوله الوحيدة، ولكونه غير عربي وغير مسلم بالولادة، فقد اعتمد فقط على قدراته الشخصية لكسب تأييد الشخصيات العربية القوية، لكن طموحاته امتدت إلى ما هو أبعد من مجرد العبودية، لقد تجرأ على الدفاع عن قيم شعبه وسعى إلى تنوير أسياده والمجتمع الأوسع، وعلى الرغم من جهوده فقد ظل سكرتيراً فارسياً، وكان دائماً موضع شك بسبب تحوله، وكان يفتقر إلى أي سلطة رسمية أو دينية في أرض يحكمها العرب والإسلام.

لا يخفى على القارئ العربي شدة تأثير ابن المقفع بالتراث اليوناني، فقد رأى طه حسين أن ابن المقفع والذي يعد زعيم كتاب الفرس والعرب، قد استفاد كثيراً من الثقافة اليونانية، لدرجة أنهم قد قالوا أن ابنه ترجم كتب اليونانيين، ويصف طه حسين الثقافة الفارسية بالمحدودة مقارنة بالثقافة اليونانية، وبأن الأدب الفارسي في العصور الاتصالية بين العرب والفرس لم تكن بتلك الخطورة مقارنة بالأدب اليونانية، فما ترجم من الفارسية ليس الا نقطة في بحر مقارنة بما ترجم من اليونانية، ويجد أن هذه الأدب تنحصر في كتاب قليلة و دمنة، وكتاب الأدب الصغير والكبير والتي هي مؤلفات لابن المقفع، وكتب سياسية أخرى .

يرى طه حسين كذلك أن العرب أعطوا للفرس أكثر مما أخذوا منهم، بل ويجعل بداية نهوض الأدب الحي للفرس باتصاله بالعرب، وقد نفى الأفضال الكبيرة للفرس والتي ينسبها المستشرقون لهم في مجال الأدب وانما ينسبها لمجالات أخرى كالماديات، والسياسة... وغيرها¹¹

ونجده في موضع آخر يقول إن ابن المقفع لم يكن ذا اجادة وفصاحة إذا تعلق الأمر باللغة العربية فيقول عنه «وعندما تقرأون كتابة ابن المقفع تجدون فيها شيئاً من الالتواء والدوران، ونحس ونحن نقرأ أن الكاتب يجد مشقة في التعبير عن المعاني

¹¹ _ ينظر: طه حسين، من حديث الشعر والنثر، دت، ص 30_31.

التي يحسها، ونحسّ هذا الضعف الذي يكلفه الكاتب للعربية، نحسه لا بعقولنا فحسب بل بأذناننا، فنجد ابن المقفع يكلف النحو العربي تكاليف ربما لم يكن النحو العربي مستعداً لأن يتحملها... وابن المقفع، مع أنّه زعيم الكتاب وصاحب الآيات وواضع المثل الأعلى للكتابة، لم يكن عظيم الحظ من الفصاحة والنحو العربي، والمقارنة بينه وبين ما كتب أصحاب النحو وغيرهم، تظهر على أنه لم يكن أكثر من مستشرق يحسن اللغة العربية والفارسية، ويبذل جهداً عظيماً فيتوفق كثيراً ويخطئ أحياناً»¹²

وصفه لابن المقفع بـ _المستشرق_ هذا المصطلح الحمال لعدة معاني غائرة، وعدة أنساق مضمرة يوضح التوجهات الهويةتية لابن المقفع، على اعتباره أجنبياً عايش وتعايش في المجتمع العباسي، وتقلد مناصب مهمة خولته أن يرسى دعائم فكرية ومعارف خاصة، وفق أنساق تترتب عليها ايدولوجيات، أهداف وطموحات، يوضحها أدبه، فهل كان ابن المقفع مستشرقاً (أجنبياً) وسط مجتمع عباسي، هل كانت طموحاته تغيير السلطة أم توضيح سدة الحكم، وإصلاح المنظومة السياسية والاجتماعية في ذلك الوقت؟

يمكن القول إن الاضطراب الهويةتي الذي رافق الموالى ككتاب ومتقنين في العصر العباسي لم يرتبط فقط بما يمكن اعتباره غريبة في مجتمعات عربية، بل كانت عبارة عن اعلاء سقف طموحات لاختراق من قبل الشعوبيين، ورفض للهيمنة العربية على إدارات الخلافة، فأضحت الترجمة في أيادي هؤلاء سلاحاً فتاكاً قصد الإطاحة بالحكام، مما جعلهم متهمين بإعلاء العقل، واتصفوا بالزندقة، واتهموا بالتحريض والفتنة، وتمت تصفيتهم بأشكال عنيفة لا يمكن للعقل وصفها أو تخيلها

2.4. ابن المقفع بين الترجمة والابداع:

يعتبر ابن المقفع، كاتباً وفيلسوفاً فارسياً عاش في القرن الثامن الميلادي، وهو من أعظم الشخصيات الأدبية والفكرية في العصر العباسي، استرشد ابن المقفع بالفلسفات الفارسية والهندية واليونانية، التي قدمت رؤية واضحة للسياسة والإدارة.

❖ شخصية ابن المقفع وأزمته: عاش ابن المقفع في فترة تغيرات سياسية

وثقافية كبيرة. كان العصر العباسي فترة تجديد ثقافي وتوسع فكري التقى فيه التراث الإسلامي مع فلسفات وثقافات أخرى. كان ابن المقفع عضواً في هذه الحركة الفكرية وترجم العديد من الأعمال الفارسية والهندية إلى العربية، بما في ذلك كليله ودمنة، وهي أطروحة في السياسة والأخلاق.

¹² _طه حسين، من حديث الشعر والنثر، ص40.

❖ آراء ابن المقفع في الملك: يحتوي كتاب ابن المقفع على أفكار سياسية عقلانيّة وعلمية بعيدة كل البعد عن المذهب السّياسي السّائد في ذلك الوقت، من عمله يمكن تمييز المبادئ الأساسية

حسّن الإدارة: يؤكد ابن المقفع على أهمية الأفكار والحكمة في الإدارة، ويرى أن الحاكم يجب أن يكون عاقلاً وحكيماً وأن يكون قادراً على اتّخاذ قرارات جيدة بناءً على اعتبارات عقلانيّة وليس فقط على أسس دينيّة.

العدل: يعتبر العدل من أهم مبادئ الإدارة. وهو يعتقد أن الحاكم الظالم لا يجب أن يحظى بدعم وثقة الشعب وأن الظلم يخلق الفوضى وعدم اليقين

الاستفادة من التجارب: رأى ابن المقفع أن الحاكم يجب أن يستفيد من تجارب البلاد السابقة ويتعلم منها، وينعكس هذا الرأي أيضاً في ترجماته للأعمال الفارسيّة والهنديّة، التي يعبر فيها عن آراء سياسية غير صحيحة سياسياً.

فصل الدّين عن السياسة: على الرغم من أن ابن المقفع لم يدع صراحة إلى فصل الدين عن السياسة، إلا أن تركيزه على العقلانية والعلم في الحكم يشير إلى اتجاه يتجاوز اللاهوت السياسي، كان يعتقد أنّه على الدّين أن يكون هو القائد، لكن القرارات السياسية يجب أن تكون مبنية على المنطق والعقل.¹³

أ. مؤلفاته:

يعتبر ابن المقفع أحد أهم الكتاب والمفكرين في التاريخ الإسلامي، وقد قدم مساهمات كبيرة في مجالات مختلفة مثل التاريخ والفلسفة والأدب وعلم الاجتماع. وإليك بعض أشهر أعماله وتأثيراتها:

1. كليلّة ودمنة: يعد هذا الكتاب من أشهر مؤلفات ابن المقفع وهو ترجمة من الأصل السنسكريتي الهندي، يحتوي الكتاب على مجموعة من القصص التي تروى على ألسنة الحيوانات والطّير والتي تحتوي على الحكمة والأخلاق السياسيّة والاجتماعيّة، الغرض من هذه القصص هو تقديم دروس مباشرة في الإدارة والسياسة والتي ستكون مفيدة للمديرين والمواطنين العاديين، ويعتبر الكتاب من روائع الأدب والحكمة حيث يعرض الحكمة والفلسفة بطريقة شيقة¹⁴

¹³ ينظر: خليل مردم، ابن المقفع (أئمة الأدب)، 2017، ص30
¹⁴ _ ينظر: حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، 1953، ص453.

نال هذا الكتاب اعجاب الكتاب والنقاد، وحاولوا محاكاة ما يتناوله ومن هؤلاء الجاحظ من خلال كتابه الحيوان، كتاب كليلة ودمنة هو مجموعة من القصص الهندية القديمة المعروفة باسم "بنطشانطرا"، التي ترجمت إلى الفارسية في القرن السادس الميلادي، ومن ثم نقلها ابن المقفع إلى العربية في القرن الثامن الميلادي، مضيًا إليها عناصر ومفاهيم إسلامية في المقابل، كتب الجاحظ "كتاب الحيوان" في القرن التاسع الميلادي، وهو عمل موسوعي يتناول جوانب متعددة من حياة الحيوانات من منظور علمي وأدبي، وعلى الرغم من اختلاف شكل وموضوع الكتابين، إلا أنهما يشتركان في مواضيع مهمة مثل الحكمة والأخلاق والسياسة.

كلا الكتابين يستخدم الحكايات المتداخلة والشخصيات الحيوانية لنقل رسائل أخلاقية وتعليمية، وهو شكل سردي مميز في الأدب العربي الكلاسيكي ذي جذور في التراث القصصي الشرقي، كما تلعب الحيوانات دورًا محوريًا عند كلا الكاتبين كشخصيات رمزية، حيث يستخدمها المؤلفان لتمثيل صفات وسلوكيات إنسانية مثل الحكمة والنزاهة والخداع والطمع. تعود جذور هذا الأسلوب إلى التقاليد الأدبية الهندية والفارسية القديمة التي أثرت في الأدب العربي. لعبت "كليلة ودمنة" دورا هاما في الأدب العربي القديم، بما في ذلك "كتاب الحيوان" للجاحظ، مما أدى إلى إثراء تقاليد التحدث باللغة العربية وتحسين أساليب التدريس والتعلم. انتشرت هذه القصص في جميع أنحاء العالم الإسلامي وأثرت في الأدب والفكر لعدة قرون.

يستخدم كلا المؤلفين قصصًا مركبة وشخصيات حيوانية لنقل رسائل أخلاقية وسياسية، باستخدام تقنيات السرد والحوار والوصف بطرق جديدة وقوية، ويعتبر هذا الأسلوب في الإلقاء والعرض من السمات الأساسية للأدب العربي الكلاسيكي الموروثة عن الأدب الشرقي، كما إن الإرث الدائم لـ "كليلة ودمنة" و "كتاب الحيوان" يؤكد أهمية هذين العملين في تراث الأدب والفن العربي؛ لأنهم ساهموا في تكوين الأدب والأدب العربي وتأثيرهم على الأدباء والمسلمين، وقد تم النظر فيها بشكل عام لعدة قرون، ويستمر الاهتمام بهذه الأعمال حتى اليوم، مما يعكس قيمتها كأعمال أدبية وفكرية مبكرة.

وعلى الرغم من أن الجاحظ تأثر بابن المقفع إلا أنه ينتقد أسلوبه في الترجمة ويعتبره متكلفا، لا يرقى الى ما جاء به اليونان «فمتى كان رحمه الله تعالى ابن بطريق، وابن ناعمة، وابن قرة، وابن فهريز، وثيفيل، وابن وهيلي، وابن المقفع مثل أرسطو

طالس؟ ومتى كان خالد مثل أفلاطون؟»¹⁵ .يتساءل الجاحظ هنا عن إمكانية مقارنة المترجمين العرب، مثل ابن البطريق وابن ناعمة وغيرهم، بالفلاسفة اليونانيين العظام مثل أرسطو وأفلاطون.

يشير إلى أن المترجم يجب أن يكون على دراية كاملة بالمعاني والألفاظ والتأويلات ليتمكن من نقل النصوص بأمانة ودقة، ويعبر عن الصعوبات التي تواجه المترجمين في تحقيق هذا المستوى من الإتقان، خاصة عند التعامل مع النصوص الفلسفية والدينية ويذهب إلى أبعد من ذلك بقوله « ولا يزال الكتاب تتداوله الأيدي الجانية، والأعراض المفسدة حتى يصير غلطا صرفا، وكذبا مصمتا، فما ظنكم بكتاب يتعاقبه المترجمون بالإفساد، وتتعاوره الخطاط بشر من ذلك أو بمثله، كتاب متقدم الميلاد، دهري الصنعة»¹⁶ مما يعكس القلق العميق الذي كان لدى العلماء والمفكرين القدامى حول دقة نقل المعرفة عبر الزمن والترجمات، يشير إلى أن الكتب التي تُنقل من جيل إلى جيل، وتُترجم من لغة إلى أخرى، قد تتعرض للتحريف والتغيير حتى تفقد معناها الأصلي، ويُعبر عن الصعوبات التي تواجه الخطاطين والمترجمين في الحفاظ على النصوص القديمة بدون إضافة أخطاء أو تحريفات،

تُظهر هذه الرؤية أهمية الدقة والأمانة في عملية الترجمة والنسخ، وكيف أن التراث الثقافي والعلمي يمكن أن يتأثر بشكل كبير بالأخطاء التي قد تُدخل عليه عبر العصور، وتُسلط الضوء على الدور الحاسم الذي يلعبه المترجمون والخطاطون في الحفاظ على النصوص الأصلية ونقلها بأمانة للأجيال القادمة السؤال المطروح يتعلق بمسألة معقدة في عملية الترجمة، وهي مدى تأثير المترجم على النص الأصلي وما إذا كان يُعتبر مؤلفاً بدرجة ما بدلاً من مجرد ناقل للنصوص، هذا النقاش يعود إلى الفلسفة اللغوية ونظريات الترجمة.

يُعتبر المترجم في بعض الأحيان كاتباً للنصوص لأنه يقوم بعملية إعادة صياغة الأفكار والمعاني من لغة إلى أخرى، وهذا يتطلب فهماً عميقاً للنص الأصلي والثقافة المرتبطة به، بالإضافة إلى القدرة على إعادة تقديم هذه الأفكار بطريقة تحافظ على معناها وتأثيرها في اللغة الهدف مع ذلك، يجب على المترجم أيضاً أن يكون واعياً بالثقافة واللغة التي يترجم إليها، وأن يحافظ على التوازن بين الأمانة للنص الأصلي والتكيف مع السياق الجديد.

¹⁵ _ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، 1965، ص76.

¹⁶ _ نفسه، ص79

يواجه المترجمون تحديات كبيرة، خاصة عند التعامل مع النصوص التي تحمل معاني مجازية، دلالات ثقافية، أو مفاهيم فلسفية معقدة في هذه الحالات، قد يضطر المترجم إلى الابتكار والإبداع في اختيار الألفاظ والتعبير لنقل النص بأمانة وفعالية. بالتالي، يمكن القول إن المترجم يشارك في إعادة خلق النص بطريقة ما. يُظهر الجاحظ من خلال هذا النص تقديره للتحديات التي تواجه عملية الترجمة وأهمية الدقة في نقل المعاني، مؤكداً على أن المترجم يجب أن يكون ملماً باللغتين المصدر والهدف لضمان الجودة في الترجمة

2. الأدب الكبير والأدب الصغير: يقدم هذا الكتاب النصائح والإرشادات للمديرين والاستشاريين حول الكيفية التي تجعل منهم عادلين، يتضمن الكتاب موضوعات مثل القيادة والعدالة والأخلاق والعلاقات الإنسانية كما يركز هذا الكتاب على السلوك الشخصي والأخلاق ويقدم النصائح حول كيفية تحسين نفسك ومعاملة الآخرين بلطف واحترام

3. رسالة الصحابة: يعتبر هذا النص من أهم مؤلفات ابن المقفع، حيث يقدم فيه النصائح للحكام والموظفين في كيفية إدارة الدولة والشؤون الاجتماعية. وشدد ابن المقفع على أهمية العدل والحكمة والحل الصحيح للمشاكل.¹⁷

ب. استهزأه بالحاكم واتهامه بالزندقة وقتله:

✓ تراجمه وتحدي السلطة:

يذهب بعض الكتاب الى أنّ ابن المقفع كان مؤلفاً في حين يحتاج آخرون بأنه كان مترجماً» ويقال أنّ ابن المقفع هو الذي وضع كتاب (كلىة ودمنة) وقيل أنّه لم يضعه وأنما كان بالفارسية ونقله الى العربية، وأنّ الكلام الذي في أول هذا الكتاب من كلامه، وقال الأصمعي: صنف ابن المقفع كثيراً من المصنفات الحسان، منها الدرة اليتيمة التي لم يصنّف في فنّها من مثلها»¹⁸ يرى غوتاس أنّ حركة الترجمة كانت نوعاً من إحياء الثقافة الفارسية، حيث كانت تعكس الأيديولوجية الإمبراطورية الساسانية¹⁹ وقد اعتمد ابن المقفع طرقاً لتقصير المسافة بين النصّ والقارئ، وكذا تكييفه ليناسب سياقاً اجتماعياً أو ثقافياً معيناً، وليتناسب مع مضامين الأدب العربيّ و العقيدة الدينية الإسلامية، أثارت الاستراتيجيات حيرة مناقضيه، في الماضي والحاضر: هل كانت

¹⁷ ينظر: حنّا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص453.

¹⁸ - عبد الله بن المقفع، الدرة اليتيمة، 2019، ص12.

¹⁹ - ديميتري غوتاس، الفكر اليوناني والثقافة العربية - حركة الترجمة اليونانية العربية في بغداد والمجتمع العباسي المبكر، ص29.

هذه ترجمة أم ابداعا يخصه؟، هذه المشكلة المميزة عن غيرها في اللغة العربيّة، فالترجمة غالبا ما كانت لصيقة باللغة العربيّة في تلك العصور، وكذا بالنموذج السرياني مفردة بمفردة، هذا أدى الى نصوص مميزة وغير عادية، وقد حوّر ابن المقفع النصّ الفارسيّ الى العربيّة، وكان ذلك عن طريق نثر جميل أطلق عليه ترجمة، في حين أن الكثير من معاصريه اتهموه بالتزوير لوجود خط رفيع يفصل أسلوب كتابته العادي عن أسلوب الترجمة.

عند التركيز في أعمال ابن المقفع وطرق كتاباته واستراتيجيات الترجمة المستخدمة من قبله، يدرك المرء أنه عرف وبشكل قاطع الطرق التي تجعل العرب يتقبلون النثر_ الذي لم يكن وسيلة الأدب في ذلك الوقت_ وذلك بإعادة كتابة للنصوص وترجمة وتكييف واعادة صياغة وصقل، لدرجة أنّ القارئ يشعر وكأنّه يقرأ نصا عربيا مشبعا بالروح الاسلاميّة والمفاهيم الدينيّة، وبالتالي فهو يعد ملكه²⁰

تعتبر كتابات ابن المقفع وخاصة كليله ودمنة، مصادر غنية لفهم كيفية استخدام الاستعارات كوسيلة لتثقيف الأمراء والتعبير عن وجهات النظر السياسية بشكل غير مباشر، ومن خلال الاستعارات والقصص الحيوانية، تمكن ابن مقفع من تقديم المشورة والتوجيه الأخلاقي والسياسي دون مواجهة السلطة مباشرة، مما سمح له بتجنب العقاب والمخاطر.

وفي سياق ابن مقفع، كان التحدث بصراحة تامة عن القضايا السياسية والاجتماعية أمراً خطيراً جداً، لذلك استخدم الخرافات للتعبير عن أفكاره. على سبيل المثال، من خلال قصة الأسد والثور في كليله ودمنة، يبين ابن المقفع كيف يتعامل الملك (الأسد) مع مستشاريه (الثعلب) والشعب (الثور)، ويقدم نصائح حول كيفية التعامل مع المشكلة بشكل صحيح الدرس. -الحكم والتعامل مع الإغراءات والخداع.

ومع ذلك، فإن مناقشة ابن المقفع حول أهمية التحدث بصراحة يمكن تفسيرها على أنها تسلط الضوء على حدود التواصل الصريح في عالم الفلسفة السياسية الغربية، في الفلسفة السياسية الليبرالية، يوجد انقسام واضح بين المجالين الخاص والعام، حيث يُنظر إلى الشؤون الخاصة على أنها مسائل شخصية بينما تخضع الشؤون العامة للمناقشة المفتوحة وفي هذا الإطار، من المتوقع أن يكون الخطاب السياسي واضحا وصريحا من أجل تعزيز الشفافية والمسؤولية.

²⁰ ينظر : عدنان خالد عبد الله، الترجمة في الوطن العربي (العصر الذهبي العباسي)، 2021، ص94-

في بعض الأنظمة السياسية التي تتميز بالاستبداد أو السياقات الثقافية التي تحد من حرية التعبير، ليس من الممكن ولا من المستحسن الحفاظ على الشفافية الكاملة، ويوضح ابن المقفع ذلك من خلال استخدام الاستعارات والرموز، التي يمكن أن تكون بمثابة أدوات قوية للتعبير عن الآراء وممارسة النفوذ السياسي دون مواجهة عواقب محتملة.

✓ تناديه على الحاكم وقتله:

وفي سنة 139 هـ، عزل الخليفة العباسي المنصور عمه سليمان بن علي من منصبه والياً على البصرة وشؤونها، وعين سفيان بن معاوية مكانه، كان المنصور يشعر بالغضب تجاه سليمان لأنه لم يسلم أخاه عبد الله الذي انفصل عن الخلافة إلا بشروط صارمة من ابن المقفع، مما أثار غضب المنصور .

ولم يكن تعيين سفيان لأغراض إدارية فحسب، بل لإضعاف نفوذ عمه أيضاً. وفيما بعد سجن المنصور عمه عبد الله بن علي أثناء ترك سليمان في البصرة. لكن ابن مقفع لم يكن يحب سفيان وسخر منه وشتمه مما أثار حقد سفيان عليه حتى قال أنه سيقطعه إرباً وفعلاً نفذ تهديده وقتل ابن مقفع بطريقة وحشية.

تختلف الروايات حول طريقة قتل ابن المقفع، لكنها تتفق جميعها على أنها كانت مروعة، يقول البعض إنه أُلقي في بئر، وآخرون قالوا أنه رشق بالحجارة، وقال آخرون إنه ظل في حوض الاستحمام حتى اختنق. وقال آخرون إن أعضاءه قطعت وأُلقيت في الأفران.

ويعتقد المؤرخون أن المنصور هو الذي أمر بقتل ابن المقفع وأنه تعرض للاضطهاد قبل أن يقتل. وذكر ابن قتيبة في خبر أن ابن المقفع حبس بسبب خراج في جسده. التعرض للتعذيب²¹.

5. خاتمة:

عبد الله بن المقفع، الذي ينتمي إلى فئة الموالى، مثل نموذجاً فريداً للمثقف الذي دمج بين أصوله الفارسية وواقعه في ظل الثقافة العربية الإسلامية خلال العصر العباسي. عبّر عن هويته الثقافية من خلال أعماله الأدبية ونقده الاجتماعي والسياسي، حيث استثمر معرفته الواسعة بالفلسفات والثقافات المختلفة، مثل الهندية والفارسية واليونانية، لينقلها إلى العالم العربي الإسلامي عبر الترجمة والإبداع.

²¹ ينظر: خليل مردم، ابن المقفع (أئمة الأدب)، ص30

لقد استطاع ابن المقفع أن يكون جزءاً من النسيج الثقافي والاجتماعي العباسي رغم التحديات التي واجهها الموالي، وخصوصاً النظرة الطبقية والهيمنة العربية في إدارة الدولة. إلا أن دوره الفكري والنقدي لم يكن خالياً من المخاطر، إذ دفع حياته ثمناً لصراحته وجرأته في انتقاد السلطة وأفكارها. انتهت حياته بطريقة مأساوية، لكن إرثه الفكري ظل حاضراً ومؤثراً، حيث شكّل علامة بارزة في تاريخ الأدب العربي ودوره في تعزيز الحوار بين الثقافات.

تبقى مسيرة ابن المقفع شاهداً على التفاعل المعقد بين الهوية الثقافية والسياسية، ودور المثقف في محاولة إصلاح مجتمعه، حتى ولو كان ذلك على حساب حياته. كان ابن المقفع رائداً في نقل العديد من الأعمال الأدبية والفلسفية من اللغات الفارسية والهندية إلى العربية، مما ساهم في إثراء الثقافة العربية الإسلامية وتوسيع أفقها الفكري. من أبرز أعماله المترجمة "كليلة ودمنة"، التي استخدمها كوسيلة لنقل الحكمة والأخلاق والسياسة عبر حكايات الحيوانات. هذه القصص لم تكن مجرد ترفيه، بل كانت تحتوي على رسائل سياسية واجتماعية عميقة موجهة للحكام والشعب على حد سواء.

في كتاباته، قدم ابن المقفع أفكاراً سياسية عقلانية كانت بعيدة عن المذهب السائد في ذلك الوقت. ركز على أهمية حسن الإدارة والعدل والاستفادة من تجارب الأمم السابقة. كما دعا إلى ضرورة أن يكون الحاكم عاقلاً وحكيماً، وقادراً على اتخاذ قرارات مبنية على المنطق والعقل وليس فقط على أسس دينية.

رغم مساهماته الفكرية العظيمة، إلا أن ابن المقفع لقي نهاية مأساوية. يتفق المؤرخون على أن السبب الرئيسي وراء قتله كان اتهمه بالزندقة والتحريض على الفتنة. كان ابن المقفع ينتقد السلطة بشكل غير مباشر من خلال كتاباته، مما أثار غضب الحكام. بالإضافة إلى ذلك، كان يُعتبر رمزاً للمعارضة الفكرية والسياسية في وجه الهيمنة العربية على إدارات الخلافة، مما أدى في النهاية إلى تصفيته بشكل عنيف.

في الختام، يمكن القول إن عبد الله بن المقفع كان شخصية محورية في تشكيل الفكر والثقافة في العصر العباسي من خلال أعماله وترجماته. ورغم نهايته المأساوية، إلا أن إرثه الفكري ظل حياً كمصدر للإلهام والدراسة في مختلف المجالات.

5. قائمة المراجع:

القرآن الكريم.

صحيح مسلم.

المراجع الأجنبية:

1. Hamdeh Emad , (September2021), (Mawālī: How Freed Slaves and Non-Arabs Contributed to Islamic),Updated: March 22,2023, 3_12.

المراجع العربية:

1. ابن المقفع عبد الله، (2019)، الدرة اليتيمة، مؤسسة الهنداوي، مصر.
2. باجوب غلوب جون، 1966، امبراطورية العرب، دار الكتاب العربي.
3. الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، (1965)، الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت.
4. جب هاملتون، 1974، دراسات في حضارة الاسلام، دار العلم للملايين.
5. حسين طه، دت، من حديث الشعر والنثر، دار المعارف، مصر.
6. الدوري عبد العزيز النظم الإسلامية، 2008، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان.
7. ضيف شوقي، العصر العباسي الثاني، دار المعارف، مصر.
8. عدنان خالد عبد الله، 2021، الترجمة في الوطن العربي (العصر الذهبي العباسي)، روتليدج.
9. غوتاسديميتري، دت، الفكر اليوناني والثقافة العربية _ حركة الترجمة اليونانية العربية في بغداد والمجتمع العباسي المبكر، المنظمة العربية للترجمة، العراق.
10. الفاخوري حنا، 1953، تاريخ الأدب العربي، المطبعة البولسية، الجامعة الأمريكية ببيروت.
11. فاروق عمر، 1988، الثورة العباسية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
12. مردم خليل، 2017، ابن المقفع (أئمة الأدب)، المملكة المتحدة.